السيكولوجيا في عهد المعرفية(*)

الغالي أحرشاو
أحمد الزاهير - علم النفس، جامعة فاس - المغرب
مختبر الأبحاث والدراسات النفسية والاجتماعية
aharchaou.rhali@gmail.com - zahercog@gmail.com

ملخص

الأكيد أن السيكولوجيا كعلم حديث العهد في المغرب، لا تزال تحاول فرض ذاتها وأخذ موقعها داخل المجتمع. فرغم أن تدريسها انطلق في السبعينات من القرن الماضي، إلا أن مأسستها افي الجامعة كتخصص علمي قائم الذات لم تتحقق إلا في حدود سنة 2003. وإذا كان هذا التحول قد شكل مكسبا هاما لتطور هذا العلم، فمن الطبيعي أن تثير وضعيته الجديدة، على ضوء الرهانات العلمية والمهنية المطروحة عليه، نقاشات مستفيضة في صفوف العاملين فيه، وبالخصوص على صعيد برامجه ومناهجه في التكوين والبحث والتطبيق. ويسود الاعتقاد بأن الاهتمام بجوانبه البيداغوجية والقانونية والمؤسساتية يجب أن يواكبه اهتمام آخر يُعنى بوضعه العلمي الذي يبدو هشا، ويستدعي على المستوى الإبستمولوجي تحديد هويته ومشروعيته من خلال إبراز مقوماته النظرية والمنهجية الحالية في علاقتها بمقومات السيكولوجيا المعرفية وبراديغمها المعرفي.

الكلمات المفتاحية: علم النفس في المغرب؛ البراديغم المعرفي؛ المعرفية؛ الانفعال.

Summary

Psychology being a young discipline in Morocco tries to impose itself and to position itself within society. Although its teaching began in the 1970s, its institutionalization as an independent scientific discipline did not occur until around 2003. Even if this change represents an important achievement for the development of this discipline, it is normal that this new situation arouses a great debate among all those interested in psychology in Morocco, and especially at the level of its programs and its training, research and application methods. Consequently, we believe that our interest in its pedagogical, legal and institutional aspects must be consolidated by another interest which focuses on its fragile scientific situation, and which requires at epistemological level, the identification of its identity and its legitimacy by valuing its current theoretical and methodological bases in its relations with cognitive psychology and the cognitive paradigm.

Keywords: Psychology in Morocco; Cognitive paradigm; Cognition; Emotion

Résumé

La psychologie étant une discipline jeune au Maroc

أن السيكولوجيا كعلم حديث العهد في المغرب، لا تزال تحاول فرض ذاتها وأخذ موقعها داخل المجتمع. فرغم أن تدريسها انطلق في السبعينات من القرن الماضي، إلا أن مأسستها افي الجامعة كتخصص علمي قائم الذات لم تتحقق إلا في حدود سنة 2003

يسود الاعتقاد بأن الاهتمام بجوانبه البيداغوجية والقانونية والمؤسساتية يجب أن يواكبه اهتمام آخر يُعنى بوضعه العلمي الذي يبدو هشا

أن أي تقييم موضوعي للسيكولوجيا بالمغرب يستلزم الاحتكام إلى السيكولوجيا الحديثة التي يؤطرها البراديغم المعرفي

السؤال المطروح هو ما مدى

essaie de s'imposer et de se positionner au sein de la société. Malgré que son enseignement a débuté durant les années 1970, son institutionnalisation comme une discipline scientifique indépendante ne s'est produite qu'aux alentours de 2003 . Même si ce changement représente un acquis important pour le développement de cette discipline, il est normal que cette situation nouvelle suscite un grand débat au sein de tous ceux qui s'intéressent à la psychologie au maroc, et surtout au niveau de ses programmes et ses méthodes de formation, de recherche et d'application. En conséquence nous pensons que l'intérêt que nous portons à ses aspects pédagogiques, juridiques et institutionnels doivent être consolidés par un autre intérêt qui se focalise sur sa situation scientifique fragile, et qui nécessite au niveau épistémologique, l'identification de son identité et sa légitimité en valorisant ses bases théoriques et méthodologiques actuelles dans ses relations avec la psychologie cognitive et le paradigme cognitif .

Les mots clés: Psychologie au Maroc ; Paradigme cognitif; Cognition; Emotion

(*) سبق نشر هذا المقال الذي عملنا على إغناء بعض مضامينه في النسخة الحالية، في المجلة العربية لعلم النفس، فاس: المجلد 1، العدد 1: 7-18، صيف 2016.

مقدمة

الأكيد أن السيكولوجيا كعلم حديث العهد في المغرب لا تزال تحاول فرض ذاتها وأخذ موقعها داخل المجتمع. فرغم أن تدريسها انطلق مع سبعينيات القرن العشرين، إلا أن مأسستها في الجامعة كتخصص علمي قائم الذات لم يتحقق إلا في سنة 2003. ورغم ما شكَّله هذا التحول من مكسب هام لتطور هذا العلم، فقد كان من الطبيعي أن تثير وضعيته الجديدة، نقاشات مستفيضة وسط المشتغلين، بخصوص برامجه ومناهجه في التكوين والبحث والتطبيق. ونعتقد أن الاهتمام بجوانبه البيداغوجية والقانونية والمؤسساتية يستوجب اهتماما آخر يُعنى بوضعه العلمي الهش وبهويته المعرفية من خلال إبراز مقوماته النظرية والمنهجية الحالية.

نعتقد أن أي تقييم موضوعي للسيكولوجيا بالمغرب يستلزم الاحتكام إلى السيكولوجيا الحديثة التي يؤطرها البراديغم المعرفي. فالسؤال المطروح هو ما مدى تبنّي علماء النفس عندنا لهذه السيكولوجيا المعرفية وما مدى انخراطهم في توجهاتها وغاياتها؟

1. مقومات الانطلاق وخصائص التأسيس والهوية

لا أحد يجادل في أن انطلاق السيكولوجيا المعرفية كاتجاه جديد في علم النفس في أوائل ستينيات القرن العشرين قد غيَّر بصورة جذرية طريقة تصورنا للنفس الإنسانية وأسلوب دراستها. فبراديغمها المعرفي الذي يعتبر الذهن كبرنامج حاسوبي يستعمل التمثلات والرموز المجردة وفق نظام حسابي تحكمه عمليات منطقية وإجراءات للمعالجة، يشير بوضوح إلى أن ثورة معرفية حدثت فعلا في مجال علم النفس. وهي الثورة التي رافقتها تحولات عميقة وخاصة على مستوى اتخاذ الذهن في معناه الواسع موضوعا، ومعالجة

تبنّي علماء النفس عندنا لهذه السيكولوجيا المعرفية وما مدى انخراطهم في توجهاتها وغاياتها؟

لا أحد يجادل في أن انطلاق السيكولوجيا المعرفية كاتجاه جديد في علم النفس في أوائل ستينيات القرن العشرين قد غيَّر بصورة جذرية طريقة تصورنا للنفس الإنسانية وأسلوب دراستها

أن ثورة معرفية حدثت فعلا في مجال علم النفس. وهي الثورة التي رافقتها تحولات عميقة وخاصة على مستوى اتخاذ الذهن في معناه الواسع موضوعا، ومعالجة المعلومات مسعى منهجيا، وبالتالي الإقرار بتجاوز عدد من السيكولوجيات وعلى رأسها السلوكية والتحليل النفسي.

هذه السيكولوجيا التي تأسست سنة 1956 في أمريكا وعرفت تطورا وانتشارا كبيرين في أغلب جامعات ومعاهد البحث في العالم، قد فرضت نفسها بداية من ثمانينيات القرن الماضي كتيار كاسح لخارطة علم النفس بعد أن تراجعت كل من السلوكية والتحليل النفسي

رغم بعض الحضور النسبي للمقاربة المعرفية عندنا، فالواضح أن المواقف المقاوِمة

المعلومات مسعى منهجيا، وبالتالي الإقرار بتجاوز عدد من السيكولوجيات وعلى رأسها السلوكية والتحليل النفسي.

فالواقع أن هذه السيكولوجيا التي لم تكن تحظى بأي حضور قبل أكثر من خمسة عقود من الآن، أصبحت تشكل الإطار الأساسي للتعبير عن علم النفس بأكمله (Miller،2003؛ Gardner، 1985). فمشروعها العلمي الذي يتحدد في دراسة موضوع الذهن كوظيفة للدماغ، ينبني على تصور حاسوبي وظيفي يسعى إلى فهم وتفسير الأنشطة الذهنية والسلوكية عبر ثلاث مراحل أساسية هي (أحرشاو، 2013):

– مرحلة تصفية المعلومات Filtrage من خلال انتقاء أنجعها لإنجاز المهام المطلوبة؛

– مرحلة تركيب المعلومات في أطر ذهنية؛

– مرحلة الحوسبة Computation التي تعني ترجمة الفكر إلى حساب ذهني عبر عمليات منطقية كالاستنباط والاستقراء والمقارنة والقياس؛

تبعا لما تقدم نشير إلى أن هذه السيكولوجيا التي تأسست سنة 1956 في أمريكا وعرفت تطورا وانتشارا كبيرين في أغلب جامعات ومعاهد البحث في العالم، قد فرضت نفسها بداية من ثمانينيات القرن الماضي كتيار كاسح لخارطة علم النفس بعد أن تراجعت كل من السلوكية والتحليل النفسي (Robins et al، 2000). والأكيد أن القول بهذه السيطرة لا يمثل حكما شخصيا أو موقفا محابيا للمعرفانيين ضد الاتجاهات الأخرى، بل هو واقع يعترف به أغلب علماء النفس بما في ذلك أولائك المتشبثين بتلك الاتجاهات المغايرة. فكثيرة هي الدراسات والأبحاث، كما سنأتي على ذلك، التي تبين بالحجة والدليل ذلك الاكتساح وتلك السيطرة.

بالعودة إلى السيكولوجيا بالمغرب يطرح السؤال حول مدى تشبع باحثيها وأخصائييها بالبراديغم المعرفي في أبحاثهم العلمية وممارساتهم العملية؟ فرغم بعض الحضور النسبي للمقاربة المعرفية عندنا، فالواضح أن المواقف المقاوِمة لهذه الأخيرة لا تزال تتأرجح بين التعنت غير المبرر والتشبث الواهم بسيكولوجيات متآكلة وهامشية. فأصحاب هذه الموافق غالبا ما يتذرعون بفكرة أن السيكولوجيا وبحكم تعقُّد موضوعها وتعدد ميادينها، لا يمكنها أن تخضع لهيمنة تيار واحد على حساب التيارات الأخرى. لكن الواضح هو أن تلك المواقف تنطوي على تناقض صارخ لكونها في الوقت الذي لا ترفض فيه القول بالتطور بخصوص العلوم الأخرى، نجدها تنكر هذه الخاصية عن السيكولوجيا لتدافع على فكرة مواصلة الحفاظ على وضعية جمودها كما ظهرت منذ ما يزيد عن قرن من الزمن.

إذن، فأمام هذه المواقف السلبية لابد من الحسم في الهوية المعرفية للسيكولوجيا الحديثة باعتماد حجج أمبريقية دالة ومقنعة. وهي حجج تعكسها خلاصات مجموعة من الدراسات التي اهتمت بالتحول العميق الذي عرفته السيكولوجيا لتصبح علما للذهن، وذلك بالاعتماد على المنهجين البيبليومتري والمصطلحي كأدوات أساسية للتقييم، والتي تتوزع إلى صنفين:

الأول كمي تبرز دراساته التحول العميق الذي شهدته السيكولوجيا في عهد المعرفية، وسنمثل له بثلاث دراسات:

– دراسة فريمان وآخرين (Friman et al، 1993) القائمة على استجماع الإحالات والاستشهادات المعتمدة في المجلات الرائدة في السيكولوجيات: المعرفية والسلوكية والتحليلية في الفترة المتراوحة ما بين 1979 و1988، وإخضاعها للتحليل الإحصائي المقارن الذي كشف على تزايد وتيرة الاستشهاد

لهذه الأخيرة لا تزال تتأرجح بين التعنت غير المبرر والتشبث الواهم بسيكولوجيات متآكلة وهامشية

أمام هذه المواقف السلبية لابد من الحسم في الهوية المعرفية للسيكولوجيا الحديثة باعتماد حجج أمبريقية دالة ومقنعة

هناك تطور تصاعدي فعلي للمعرفية يماثل في مستواه مستوى السلوكية في مرحلة ازدهارها، في مقابل انحدار وتراجع التحليل النفسي

تقوية السيكولوجيا المعرفية وتثبيتها كتيار كاسح ومهيمن على خارطة علم النفس العالمية

تصاعد نسبي للعلوم المعرفية وبالخصوص في تخصصاتها السيكولوجية والعصبية واللسانية والمنطقية والتكنولوجية والأنتربولوجية والفلسفية.

أن السيكولوجيا أصبحت فعليا ومنذ ثمانينات القرن العشرين علما معرفيا بامتياز يتخذ من النشاط الذهني والسيرورات المعرفية موضوعه الأساسي، وينفتح بشكل متزايد على الجوانب الانفعالية الوجدانية وعلى العلوم العصبية.

بالمقالات المنشورة في المجلات ذات التوجه المعرفي مع تراجع تلك الوتيرة بخصوص المقالات المنشورة في المجلات ذات التوجه السلوكي والتحليل النفسي. وبالنتيجة هناك تطور تصاعدي فعلي للمعرفية يماثل في مستواه مستوى السلوكية في مرحلة ازدهارها، في مقابل انحدار وتراجع التحليل النفسي.

– في دراسة أخرى تغطي فترة أطول تمتد من 1977 إلى 1996، اعتمد فيها روبينس وآخرون (Robins et al،2000) على ثلاثة مؤشرات: أولها يهم موضوع المقالات المنشورة في أفضل أربع مجلات تتقاطع فيها تيارات التحليل النفسي والسلوكية والمعرفية والعلوم العصبية. وثانيها يخص مواضيع الدكتوراه المنجزة من لدن الطلبة الباحثين. وثالثها يشمل الإنتاجات العلمية لكل تيار من التيارات الأربعة السابقة. وقد كشف التحليل الإحصائي المقارن عن الخلاصات التالية:

– تجاهل السيكولوجيا العلمية وتهميشها للتحليل النفسي منذ أربعة عقود مضت؛

– خفوت السلوكية وتراجعها في مقابل تصاعد المعرفية ابتداء من السبعينات؛

– تقوية السيكولوجيا المعرفية وتثبيتها كتيار كاسح ومهيمن على خارطة علم النفس العالمية؛

– تصاعد نسبي للعلوم المعرفية وبالخصوص في تخصصاتها السيكولوجية والعصبية واللسانية والمنطقية والتكنولوجية والأنتربولوجية والفلسفية.

وقد قام تراسي وآخرون (Tracy et al، 2002) بإعادة نفس الدراسة مع تمديد الفترة الزمنية المعنية إلى حدود 2002، وجاءت النتائج كلها تأكيد للخلاصات السابقة.

وفي دراسة ثالثة أنجزها ليوري وكيرو (Lieury et Quaireau، 2006) حول توزُّع المنشورات السيكولوجية حسب الميادين بدل التيارات، أظهرت النتائج أن هذه المنشورات لم تتعدى في ميدان التحليل النفسي نسبة 1% مقابل نسبة 14% لميدان السيكولوجيا المعرفية، مع العلم أن ميادين السيكولوجيا المرضية الإكلينيكية والصحة النفسية والتربوية والنمائية والاجتماعية كلها أصبحت ذات توجه معرفي.

الثاني نوعي توضح دراساته التحول الجوهري الذي عرفته السيكولوجيا في اتجاه تصاعدي نحو المعرفية، ونمثل له بنموذجين اثنين:

– فبالانطلاق من فكرة أن المفاهيم والمصطلحات تعتبر شاهدا على علمية علم ما في مرحلة معينة، ذهب فيسانتا وآخرون (Vicenta et al، 2002) إلى تتبع التغيرات التي عرفها كتاب "مدخل إلى السيكولوجيا Introduction to psychology" لصاحبه هيلجارد Hilgard وأخرين كأهم مرجع يستعمل على نطاق واسع في الجامعات الأمريكية، والذي أعيد نشره في 13 طبعة: أولاها سنة 1953 وآخرها سنة 2000، حيث كان المؤلفون يُحيّنون مضامين هذا الكتاب بكل المستجدات على امتداد هذه الطبعات. وقد قام فيسانتا ومشاركوه بتحليل محتوى نصوص تعريف السيكولوجيا، والسيرورات السيكولوجية المعتمدة، وميادين السيكولوجيا، ثم أخيرا حضور الباحثين غزيري الإنتاج في مختلف طبعات الكتاب. ولتشخيص التطور الذي عرفته السيكولوجيا خلال هذه الحقبة اعتمد هؤلاء على سبع طبعات فقط: الأولى لسنة 1953، والثانية لسنة 1962، والرابعة لسنة 1967، والخامسة لسنة 1971، والسابعة لسنة 1979، والثامنة لسنة 1983، وأخيرا الثالثة عشرة لسنة 2000. وقد أظهرت النتائج أن السيكولوجيا أصبحت فعليا ومنذ ثمانينات القرن العشرين علما معرفيا بامتياز يتخذ من النشاط الذهني والسيرورات المعرفية موضوعه الأساسي، وينفتح بشكل متزايد على الجوانب الانفعالية الوجدانية وعلى العلوم العصبية.

– وفي دراسة حديثة العهد خصصها ويسيل وآخرون (Whissel et al 2013) للكشف عن درجة استعمال مصطلحات ومفاهيم إما سلوكية وإما معرفية، ومدى تطور هذا الاستعمال عبر الزمن في

"الزحف والاكتساح المعرفي" الذي بدا واضحا من خلال تصاعد تكرار استعمال الكلمات والمفاهيم المعرفية مقابل تراجع تكرار استعمال الكلمات والمفاهيم السلوكية

أن السيكولوجيا أصبحت بالحجة والدليل علما معرفيا يهيمن على جميع مكونات خارطة علم النفس العالمية، ويشكل مع العلوم المعرفية الأخرى علما للذهن

أن البعض لا يزال يشكك في هذه الحجج ليتصور السيكولوجيا المعرفية إما كفرع سيكولوجي يدرس الأنشطة الذهنية إلى جانب الفروع الأخرى: النمائية والاجتماعية واللغوية والعصبية والمرضية، وإما كتوجه نظري من ضمن توجهات أخرى تشمل السيكولوجيات: التحليلية والسلوكية والاجتماعية والتطورية والإنسانية والثقافية والإيجابية والعصبية

أن السيكولوجيا المعرفية وعلى عكس المواقف السابقة لا تشكل لا فرعا ولا اتجاها إلى جانب فروع واتجاهات سيكولوجية أخرى، بل أصبحت منذ ثمانينات القرن الماضي علما معرفيا يهيمن على كل الميادين، ويشمل مختلف الموضوعات السيكولوجية

هي عبارة عن مقاربة شاملة

عناوين مقالات تضمنتها ثلاث مجلات سيكولوجية في الفترة الممتدة من 1946 إلى 2010، حيث شمل هذا المسح 8572 عنوان وأكثر من 100 ألف كلمة. ومن أهم نتائج هذه الدراسة "الزحف والاكتساح المعرفي" الذي بدا واضحا من خلال تصاعد تكرار استعمال الكلمات والمفاهيم المعرفية مقابل تراجع تكرار استعمال الكلمات والمفاهيم السلوكية؛ حيث إن الفرق الذي كان لصالح استعمال هذه الأخيرة في الفترة المتراوحة بين 1946 و1965 أصبح أثناء الفترة الممتدة من 1991 إلى 2010 لصالح الكلمات والمفاهيم المعرفية وبدلالة إحصائية كبيرة ومؤكدة.

إن أهم ما يستخلص من الدراسات السابقة هو أن السيكولوجيا أصبحت بالحجة والدليل علما معرفيا يهيمن على جميع مكونات خارطة علم النفس العالمية، ويشكل مع العلوم المعرفية الأخرى علما للذهن. غير أن البعض لا يزال يشكك في هذه الحجج ليتصور السيكولوجيا المعرفية إما كفرع سيكولوجي يدرس الأنشطة الذهنية إلى جانب الفروع الأخرى: النمائية والاجتماعية واللغوية والعصبية والمرضية، وإما كتوجه نظري من ضمن توجهات أخرى تشمل السيكولوجيات: التحليلية والسلوكية والاجتماعية والتطورية والإنسانية والثقافية والإيجابية والعصبية. ويبرر أصحاب هذا الموقف ادعاءهم هذا بأن موضوع السيكولوجيا وبحكم تعقده لا يحتمل مقاربة واحدة بل يستلزم تضافر عدة مقاربات. وهذا ما يؤكد ما سبقت الإشارة إليه بأن التوجه الأساسي لهؤلاء يكمن في الإبقاء على وضعية علم النفس كوضعية جامدة، يجب الحفاظ عليها كما كانت منذ تأسيس هذا العلم أواخر القرن 19 دون تطور ولا تحول ولا تجاوز.

الحقيقة أن السيكولوجيا المعرفية وعلى عكس المواقف السابقة لا تشكل لا فرعا ولا اتجاها إلى جانب فروع واتجاهات سيكولوجية أخرى، بل أصبحت منذ ثمانينات القرن الماضي علما معرفيا يهيمن على كل الميادين، ويشمل مختلف الموضوعات السيكولوجية بما فيها الدوافع والانفعالات والسلوكات الاجتماعية والاضطرابات النفسية وغيرها. فهي عبارة عن مقاربة شاملة للظاهرة النفسية في مختلف أبعادها النمائية والاجتماعية والتربوية والاجتماعية والانفعالية والمرضية. فقد أضحت تمثل البراديغم النظري القوي الذي يجتمع حوله ويتبناه أغلب علماء النفس. فرغم الحضور المتفاوت الدرجة لاتجاهات سيكولوجية متعددة، فإن هذا الإطار المعرفي يبقى هو التيار المهيمن الذي يوحد حقل علم النفس، أما الاتجاهات الأخرى فمنها من تراجع أو اندثر (التحليل النفسي والسلوكية)، ومنها من يتحرك في الهامش (المقاربات الثقافية الإنسانية والإيجابية)، مع العلم أن الاتجاهات التطورية والاجتماعية والعصبية أضحت ذات طابع معرفي.

بالنتيجة، إن حصر السيكولوجيا المعرفية في تخصص أو اتجاه إلى جانب تخصصات واتجاهات أخرى هو تشويه للصورة الحقيقية لعلم النفس الحديث، وإنكار لوحدته كعلم ينبني على البراديغم المعرفي. فالمعرفانية تمثل حسب كيلستروم Kihlstrom (2004) أول وأنجح محاولة لتوحيد تصور علم النفس كعلم للذهن وتفسيره.

2. السيكولوجيا المعرفية وأهم الانتقادات

تبعا لما تقدم نرى ضرورة التوقف عند انتقادين أساسيين للسيكولوجيا المعرفية يتعلقان على التوالي بإهمالها للجوانب الانفعالية، ثم إفراطها في تبنّي النموذج الحاسوبي الوظيفي.

فبخصوص مشكل الانفعال يمكن الإقرار بأن السيكولوجيا المعرفية قد انتقلت فعلا من المعرفية الباردة المبنية فقط على ما هو معرفي إلى المعرفية الدافئة القائمة على ما هو انفعالي. فالأكيد أن الجوانب الوجدانية قد أضحت منذ أواخر القرن العشرين تحظى باهتمام المعرفانيين وبدور حاسم في سيكولوجيا الإنسان. وهذا موقف أصبح يتجلى حسب لوني وريشار (Le Ny et Richard، 1986) في

للظاهرة النفسية في مختلف أبعادها النمائية والاجتماعية والتربوية والاجتماعية والانفعالية والمرضية

هذا الإطار المعرفي يبقى هو التيار المهيمن الذي يوحد حقل علم النفس، أما الاتجاهات الأخرى فمنها من تراجع أو اندثر (التحليل النفسي والسلوكية)، ومنها من يتحرك في الهامش (المقاربات الثقافية الإنسانية والإيجابية)

إن حصر السيكولوجيا المعرفية في تخصص أو اتجاه إلى جانب تخصصات واتجاهات أخرى هو تشويه للصورة الحقيقية لعلم النفس الحديث، وإنكار لوحدته كعلم ينبني على البراديغم المعرفي

يمكن الإقرار بأن السيكولوجيا المعرفية قد انتقلت فعلا من المعرفية الباردة المبنية فقط على ما هو معرفي إلى المعرفية الدافئة القائمة على ما هو انفعالي

أن الجوانب الوجدانية قد أضحت منذ أواخر القرن العشرين تحظى باهتمام المعرفانيين وبدور حاسم في سيكولوجيا الإنسان

التمييز ضمن الاشتغال الذهني بين الوجداني كطاقة والمعرفي كميكانيزم؛ بحيث لا يمكن دراسة الأنشطة المعرفية في معزل عن الظروف الوجدانية الملائمة. فتوفر الطاقة الكافية (الوجدان) هو الذي يسمح للمكانيزم بالعمل والاشتغال (المعرفة). وبخلاصة فمن التطورات الإيجابية التي عرفتها المقاربة المعرفية هذا الجمع بين السيرورات المعرفية والجوانب الوجدانية كمباحث أساسية لتوجهاتها المعاصرة(Kirouac، 2004؛ Reed، 1999؛ Richard، 1999، أحرشاو،1997).

لا يمكن دراسة الأنشطة المعرفية في معزل عن الظروف الوجدانية الملائمة

وبخصوص التصور الحاسوبي فهو يعتبر كما نعلم النشاط المعرفي كتمثلات ذهنية تخضع للمعالجة حسب قواعد منطقية تماثل الحاسوب، الأمر الذي يطرح "مشكل تأصيل الرموز" وكيفية تشبعها بالمعاني والدلالات؟ لقد استوجب حل هذا المشكل ظهور ثلاثة توجهات جديدة من المعرفية: أولها مُمَوْضَع Cognition située يرى أن المعرفية ليست معزولة عن البيئة التي تحصل فيها، بل هي تابعة لسياقات واقعية وترتبط بوضعيات اجتماعية معينة. وثانيها مجسّد Cognition incarnée يقرُّ بأن المعرفية لا تشكل نشاطا داخليا بل هي نشاط أساسه الجسم من خلال الإدراك والحركة. وثالثها موزّع Cognition distribuée يؤكد على أن المعرفية لا تنحصر داخل الذهن بل تمتد إلى الأدوات الثقافية والإبداعية والصناعية الخارجية. والأكيد أن هذه التوجهات الثلاثة ورغم تنوعها يجمعها تصور عام يسلم بعدم استقلال النظام المعرفي عن علاقاته التفاعلية مع أنشطة الجسم وسط السياق البيئي. فالمعرفية أساسها جسم الإنسان في تفاعله مع البيئة ومكوناتها من خلال الإدراك والفعل كسيرورات مركزية للمعرفية.

من التطورات الإيجابية التي عرفتها المقاربة المعرفية هذا الجمع بين السيرورات المعرفية والجوانب الوجدانية كمباحث أساسية لتوجهاتها المعاصرة

أن المعرفية ليست معزولة عن البيئة التي تحصل فيها، بل هي تابعة لسياقات واقعية وترتبط بوضعيات اجتماعية معينة

إن أهم ما يلاحظ على هذا التوجه هو أنه لا يشكل مقاربة موحدة الأفكار ومتجانسة الغايات. فهو يتعدد بتعدد وجهات نظر أصحابه الذين يركزون تارة على الجسد، وتارة على المحيط الطبيعي والاجتماعي، وتارة أخرى على الأدوات الثقافية والصناعية. وكما يتنوع ويختلف حسب درجة راديكالية هؤلاء، حيث يتراوح بين الموقف الأقل راديكالية، والموقف الأكثر راديكالية الذي يطابق النموذج السلوكي، وبالخصوص على مستوى استبعاده الصريح لما هو ذهني تمثلي وإبقائه فقط على ما هو جسدي وبيئي خارجي. فحججه التجريبية تبدو غير حاسمة وقابلة للتأويل في إطار التصور الحاسوبي للذهن الذي حتى وإن كان لا يزال غير مكتمل النضج بفعل حدوده المرتبطة أساسا بإشكالية علاقة ذهن/ دماغ، ثم صعوبة نمذجة الأنشطة الذهنية العليا، فهو يشكل من منظور جيري فودور J. Fodor (2002) أفضل نظرية للذهن أمكن لحد الآن تصورها وبلورتها. وهي النظرية التي أضحت بفعل ما تنبني عليه من ترسانة منهجية من قبيل تقنيات المحاكاة والتصوير الدماغي، تحتل مكانة قوية في برنامج السيكولوجيا المعرفية الحالية ومشروعها العلمي الطموح.

أن المعرفية ليست معزولة عن البيئة التي تحصل فيها، بل هي تابعة لسياقات واقعية وترتبط بوضعيات اجتماعية معينة

أن المعرفية لا تشكل نشاطا داخليا بل هي نشاط أساسه الجسم من خلال الإدراك والحركة.

3. مستقبل السيكولوجيا بالمغرب في عهد المعرفية

الأكيد أن انطلاق السيكولوجيا ذات الطابع المعرفي كاتجاه جديد في علم النفس في أوائل ستينيات القرن 20، قد غيّر كما سبق الذكر وبصورة جذرية طريقة تصورنا للنفس الإنسانية وأسلوب دراستها. فبراديغمها المعرفي الذي يعتبر الذهن كنوع من البرمجة المعلوماتية المستعملة للرموز المجردة، يشير بوضوح إلى أن ثورة معرفية حدثت فعلا في مجال علم النفس. وهي الثورة التي رافقتها تحولات عميقة إن على مستوى الموضوع والمفهوم والمبحث، أو على مستوى المنهج والمسعى والتطبيق. فهذه السيكولوجيا التي تهيمن حاليا على خارطة علم النفس العالمية، أضحت تشكل بفعل تجاوزها لعدد من الاتجاهات السيكولوجية الكلاسيكية (السلوكية والتحليلية والتكوينية)، الثورة المعرفية القائمة الذات التي لا يتردد أغلب

أن المعرفية لا تنحصر داخل الذهن بل تمتد إلى الأدوات الثقافية والإبداعية والصناعية الخارجية.

علماء النفس في اتخاذها إطارا أساسيا للتعبير عن علم النفس بأكمله.

الحقيقة أن تجربة الأخذ بمقومات هذه المقاربة السيكولوجية الجديدة بالمغرب، تدريسا وبحثا وممارسة، لا تزال تجربة فتية ومحدودة، سواء في مداها الزمني أو في مستوى ممارستها ودرجة انتشارها. فهذه التجربة التي تعود انطلاقتها محليا إلي شخصيا بمعية بعض أساتذة شعبة علم النفس بجامعة فاس خلال تسعينيات القرن 20، حينما ذهبنا إلى تبني التوجه المعرفي كمسعى جديد للتعامل مع السيكولوجيا، لا تزال في الواقع تكثف الجهود وتضاعف الخطوات لتتخطى مختلف العراقيل والمقاومات، وتصل بالتالي إلى فرض أسسها وتثبيت مرتكزاتها كبراديغم جديد، قوامه بناء علم للذهن بدل اجترار ما كان يسمى بعلم للسلوك.

هناك شبه إجماع على أن علم النفس بالمغرب، وبفعل عمل بعض أساتذته وممارسيه بهذه المقاربة منذ أواخر القرن الماضي، أضحى يعرف نوعا من الانتعاش العلمي الملموس، سواء على مستوى المرجعيات والمفاهيم النظرية، أو على مستوى الإجراءات والتقنيات المنهجية، أو حتى على مستوى بعض الممارسات التطبيقية. وهذه مسألة تعكسها طبيعة برامج التكوين ومشاريع البحث التي أصبحت تتشبع بمقومات هذه المقاربة لتلامس إشكاليات سيكولوجية غير مألوفة من قبيل: الوظائف المعرفية العليا وكل ما يرتبط بها من سيرورات المعالجة وآليات الاشتغال واستراتيجيات التنفيذ. فالنمو والتعلم والذاكرة والانتباه واللغة واتخاذ القرار وحل المشاكل وأنواع الاضطرابات، كلها مباحث وإشكاليات خُصصت لها دراسات وبحوث وأطروحات جادة باعتماد هذه المقاربة. وهي البحوث والدراسات والأطروحات التي بدأت تأخذ طريقها إلى النشر لإمداد القارئ المغربي والعربي عامة بمنتوج سيكولوجي مغاير الطعم والمذاق لأنه لم يألفه من قبل.

بالعودة إلى مراحل تطور علم النفس وهويته المعرفية ووضعه المؤسساتي ومكانته التطبيقية، يمكن القول إن السيكولوجيا كعلم حديث النشأة في المغرب، لا تزال تعيش مخاض مشروعيتها التاريخية وهويتها المعرفية ومأسستها القانونية، كما توضح ذلك الأبعاد الأربعة التالية:

التاريخ والتطور

تمثل بعض ممارسات الطب النفسي والتحليل النفسي خلال عشرينيات القرن 20، بداية انطلاق السيكولوجيا بالمغرب، لتشهد مع فترة الاستقلال وبعدها تطورات هامة تمثلت في اعتمادها (Bennani, 2005؛ أحرشاو، 2005؛ 2019):

– كمواد للتكوين في مدارس المعلمين والمراكز الجهوية، وبعدها في المدارس العليا للأساتذة وكلية علوم التربية؛

– كمواد للاختيار في شعبتي الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس بفاس والرباط من 1972 إلى 1982؛

– كوحدات للتخصص والبحث في نفس الشعبتين ما بين 1982 و2003؛

– كمسالك للتكوين والبحث منذ (2003) بفاس والرباط و(2010) بالمحمدية و(2016) بالدار البيضاء و(2017) بمراكش والقنيطرة، ثم كمواد فقط بكليات الآداب والعلوم الإنسانية الأخرى بالجامعات المغربية؛

– كشعبة مستقلة بكل من فاس والرباط منذ (2006)، وبكل من مراكش والبيضاء والقنيطرة وفاس مجددا خلال السنتين الأخيرتين؛

أن انطلاق السيكولوجيا ذات الطابع المعرفي كاتجاه جديد في علم النفس في أوائل ستينيات القرن 20، قد غيّر كما سبق الذكر وبصورة جذرية طريقة تصورنا للنفس الإنسانية وأسلوب دراستها

هذه السيكولوجيا التي تهيمن حاليا على خارطة علم النفس العالمية، أضحت تشكل بفعل تجاوزها لعدد من الاتجاهات السيكولوجية الكلاسيكية (السلوكية والتحليلية والتكوينية)، الثورة المعرفية القائمة الذات التي لا يتردد أغلب علماء النفس في اتخاذها إطارا أساسيا للتعبير عن علم النفس بأكمله

أن تجربة الأخذ بمقومات هذه المقاربة السيكولوجية الجديدة بالمغرب، تدريسا وبحثا وممارسة، لا تزال تجربة فتية ومحدودة، سواء في مداها الزمني أو في مستوى ممارستها ودرجة انتشارها

هذه التجربة التي تعود انطلاقتها محليا إلي شخصيا بمعية بعض أساتذة شعبة علم النفس بجامعة فاس خلال تسعينيات القرن 20، حينما ذهبنا إلى تبني التوجه المعرفي كمسعى جديد

للتعامل مع السيكولوجيا

أن علم النفس بالمغرب، وبفعل عمل بعض أساتذته وممارسيه بهذه المقاربة منذ أواخر القرن الماضي، أضحى يعرف نوعا من الانتعاش العلمي الملموس، سواء على مستوى المرجعيات والمفاهيم النظرية، أو على مستوى الإجراءات والتقنيات المنهجية، أو حتى على مستوى بعض الممارسات التطبيقية

إن السيكولوجيا كعلم حديث النشأة في المغرب، لا تزال تعيش مخاض مشروعيتها التاريخية وهويتها المعرفية ومأسستها القانونية

تمثل بعض ممارسات الطب النفسي والتحليل النفسي خلال عشرينيات القرن 20، بداية انطلاق السيكولوجيا بالمغرب، لتشهد مع فترة الاستقلال وبعدها تطورات هامة

إذ بفعل تشبّعها بالمقاربة المعرفية، أصبحت السيكولوجيا بالمغرب تعيش منذ أوائل القرن الحالي بعض التطور في مسالكها وبرامجها

الهوية والمأسسة

على الرغم من بعض مظاهر التطور في مرجعياتها وتوجهاتها منذ أواخر القرن 20، فإن الهوية المعرفية والمؤسساتية للسيكولوجيا بالمغرب لا تزال مفعمة ببعض الضبابية لاعتبارات أهمها (Bennani, 2005؛ أحرشاو، 2005؛ 2013):

– تشتت هويتها المعرفية إلى وقت قريب بين الفلسفة وعلوم الطب النفسي والأعصاب والاجتماع والتربية؛

– تذبذبها إلى حدود أواخر القرن 20، بين تُشَيّءُ وحدة موضوعها بين السلوك والإدراك واللاشعور، ومنهجها بين القياس والتجريب والمقابلة، ووحدة توجهها بين التيار الطبيعي والتيار الإنساني؛

– مواجهتها منذ تشبعها في بداية تسعينيات القرن العشرين بالبراديغم المعرفي وتحولها من علم للسلوك إلى علم للذهن، لبعض المواقف المقاوِمة المتأرجحة بين التعنت غير المبرر والتشبث الواهم بسيكولوجيات تراجع صيتها وقلّ بريقها كسلوكية واطسن وتحليلية فرويد وتكوينية بياجي؛

التكوين والبحث والإنتاج

بالاحتكام إلى مقاييس جودة التكوين وفعالية البحث ونجاعة الإنتاج، يلاحظ أن السيكولوجيا بالمغرب لا تزال تواجه مشاكل على صعيد (أحرشاو، 2019):

التكوين؛ إذ بفعل تشبّعها بالمقاربة المعرفية، أصبحت السيكولوجيا بالمغرب تعيش منذ أوائل القرن الحالي بعض التطور في مسالكها وبرامجها، تترجمها التحولات التالية:

– التحول من السلوك إلى الذهن بخصوص الموضوع، ومن المثير والاستجابة والتعزيز، إلى التمثل والمعالجة والوعي بخصوص المفهوم؛

– التحول من الملاحظة والقياس والتجريب إلى التجريب والتقييس والتصوير بخصوص المنهج والتقنيات؛

– التحول من براديغم سلوكي تحكمه نزعة أمبريقية إلى براديغم معرفي تحكمه نزعة حاسوبية اقترانية؛

– كل هذه التحولات أصبحت تعكسها إلى حد ما برامج التكوين في مسالك الإجازة والماستر والدكتوراه ومشاريع المختبرات ومواضيع أغلب الأطروحات والمنشورات والندوات؛

البحث؛ إذ لا يزال البحث السيكولوجي عندنا، يفتقر إلى كثير من الضوابط العلمية، وذلك لأسباب عديدة أهمها:

– المختبرات الفعلية وليست الشكلية لا تزال محدودة العدد، وتجهيزاتها لا تتعدى ما هو معلومياتي على شكل مجموعة من الحواسيب والأجهزة الإلكترونية، أما بطاريات القياس والاختبارات والأدوات السيكومترية فهي نادرة ونادرة جدا؛

– البحوث الميدانية والتدخلية لا تزال في بداياتها المحتشمة، يحكمها العمل الفردي عوض العمل الجماعي، ويطال نتائجها تهميش مؤسساتي وإهمال مجتمعي؛

– غالبية أنشطة البحث العلمية (أعمال مندمجة، شراكات، مشاريع، خبرات واستشارات، عقود) والأكاديمية (إجازة، ماستر، دكتوراه، ملفات التأهيل والأستاذية)، يحكمها هاجس الحصول على الدبلوم والترقي المهني؛

الإنتاج؛ إذ من المؤكد أن الإنتاج السيكولوجي أصبح يتميز عندنا في السنوات الأخيرة بدرجة من الدينامية والتراكم النسبي، رغم بعض مظاهر تشتت مشاريعه، أهدافه ومخرجاته. وهذه قرائن للتوضيح:

– رغم هاجس الترقية المهنية الذي يحكم هذا الإنتاج، فقد أصبح يعرف بعض الدينامية في تراكمه الموزع بين أطروحات (170: 35% منها نوقش في الخارج)، وكتب (205: 80% بالعربية)، ومقالات (410: 82% بالعربية) حسب استقصائي الشخصي؛

– تزايد في وتيرته ذات التوجه المعرفي منذ أواخر القرن 20، حسب ما تؤشر عليه موضوعات وعناوين المؤلفات والمقالات المنشورة، ثم ملفات التأهيل والأستاذية وأطروحات الدكتوراه التي لا يزال أغلبها حبيس رفوف خزانات أصحابها؛

– في مقابل تزايد في الإنتاج السيكولوجي المتشبع بالمقاربة المعرفية، هناك تراجع واضح في الإنتاج السيكولوجي القائم على المقاربتين السلوكية والتحليلية؛

– محدودية المراكز والمؤسسات والجمعيات الراعية والمحفّزة للإنتاج السيكولوجي عندنا. فعدد المجلات لم يتجاوز ست، وعدد الجمعيات لا يتعدى ثلاث: واحدة لعلم النفس وأخرى للتحليل النفسي وثالثة للطب النفسي.

التطبيق والممارسة

يشكل تواضع التطبيق والممارسة العنصر السلبي لواقع السيكولوجيا بالمغرب؛ إذ ناذرا ما تستثمر نتائجها في خدمة التنمية الشاملة. وهذا واقع يترجمه البعدان التاليان (أحرشاو، 2019):

بخصوص التطبيق فهو يشكو من:

– محدودية في التعامل مع المشاكل النفسية والاجتماعية الواقعية، تشخيصا وعلاجا وتكفلا؛

– تواضع مخرجات البحوث، وشبه غياب للمؤسسات المستفيدة منها في التوجيه والإرشاد، الانتقاء والاختيار، التشخيص والعلاج، التأهيل والتكفل؛

– التقوقع داخل أسوار الجامعة للاكتفاء بالدرس و البحث الأكاديمي الذي قليلا ما تعرف نتائجه طريقها إلى الاستثمار التطبيقي؛

– التهميش على صعيد الخبرة والاستشارة بخصوص مشاريع الإصلاحات التي انخرط فيها المغرب، وبالتالي تفويت فرصة الاستفادة من خدمات ممارسيها ومخرجات بحوثها؛

وبخصوص الممارسة فهي تتمظهر في:

– الافتقاد إلى التثمين المؤسساتي وكل ما يستلزمه ذلك من بنيات وتجهيزات وإمكانيات مادية وبشرية؛

– سيادة الأنماط الثقافية والتمثلات الاجتماعية المقاومة لقيام المعرفة السيكولوجية المطابقة والمؤسسات المؤهلة لتوظيف خدماتها؛

– الافتقار إلى القانون الذي ينظم ويحمي مهنة عالم النفس بالنسبة لعدد من الأخصائيين والممارسين في قطاعات الصحة والأمن والعدل وفي جمعيات مدنية ومؤسسات خاصة؛

بناء على مختلف الوقائع والمعطيات السابقة، يمكن الإقرار بأن علم النفس بالمغرب ورغم بعض مظاهر تطوره في ظل تشبعه بالمقاربة المعرفية، لا يزال يتخبط في مشاكل توطينه ومأسسته، تكوينا وبحثا وممارسة. ولتجاوز هذا الوضع ومختلف أساليب المقاومة التي يسلكها البعض للإبقاء على الوضع

لا يزال البحث السيكولوجي عندنا، يفتقر إلى كثير من الضوابط العلمية

البحوث الميدانية والتدخلية لا تزال في بداياتها المحتشمة، يحكمها العمل الفردي عوض العمل الجماعي، ويطال نتائجها تهميش مؤسساتي وإهمال مجتمعي

أن الإنتاج السيكولوجي أصبح يتميز عندنا في السنوات الأخيرة بدرجة من الدينامية والتراكم النسبي، رغم بعض مظاهر تشتت مشاريعه، أهدافه ومخرجاته

تزايد في الإنتاج السيكولوجي المتشبع بالمقاربة المعرفية، هناك تراجع واضح في الإنتاج السيكولوجي القائم على المقاربتين السلوكية والتحليلية

محدودية المراكز والمؤسسات والجمعيات الراعية والمحفّزة للإنتاج السيكولوجي عندنا. فعدد المجلات لم يتجاوز ست، وعدد الجمعيات لا يتعدى ثلاث: واحدة لعلم النفس وأخرى للتحليل النفسي وثالثة للطب النفسي

كما هو عليه، نرى استعجالية العمل بالإجراءات الأربعة التالية (أحرشاو، 2019):

– توسيع قاعدة السيكولوجيا عندنا لتشمل كل الجامعات والكليات والمعاهد كشعبة قائمة الذات وليس كمسلك يفتقد إلى الشروط الهيكلية والتأطيرية والبحثية للتخصص الفعلي، أو كوحدات تكميلية ضمن برامج تخصصات أخرى؛

– تعزيز وتمتين الهوية العلمية للسيكولوجيا بالمغرب عبر تقوية تشبعها بالتوجه المعرفي، تكوينا وبحثا وإنتاجا وممارسة؛

– الخروج بالمنظومة البحثية للسيكولوجيا من داخل أسوار الجامعات لمقاربة مشاكل المغاربة الحقيقية في مختلف مستوياتها وتمظهراتها المعرفية والوجدانية، البنيوية والوظيفية، الفطرية والمكتسبة، السوية والشاذة، المتوازنة والمضطربة...إلخ؛

– اعتبار السيكولوجيا مثلها مثل الطب، يجب أن تمارس أينما وجد الإنسان: في الأسر والمدارس والمستشفيات والمقاولات، في قطاعات العدل والأمن والشغل والرياضة. في التشخيص والعلاج والتكفل، في الانتقاء والتوجيه والإرشاد، في الخبرة والاستشارة والتدخل، وبالتالي في كل ما يهم تنمية الإنسان وتحديث المجتمع؛

بعد هذا التشخيص المقتضب لواقع علم النفس من داخل المقاربة المعرفية وإجراءات تجاوز بعض مشاكله ومعوقاته، أود أن أفترض بأن السؤال الذي قد يطرحه كثير من قراء هذا المقال وبالخصوص المتخصصين، هو: هل السيكولوجيا في المغرب بخير أم لا؟

قد نجيب بالإيجاب إذا ما احتكمنا بوضعها إلى ما توجد عليه في العالم العربي. لكن بالنفي إذا ما توجهنا بالمقارنة إلى ما توجد عليه في كثير من الدول الغربية. وهذه مسألة نوضحها بمؤشرين إثنين:

– الأول قوامه أن مقارنة وضع السيكولوجيا عندنا بوضعها في بلد كفرنسا مثلا، تكشف بأن الفرق كبير وكبير جدا. فالسيكولوجيا التي تتجلى على الصعيد الوطني بأكمله في 4 شعب و5 تخصصات للماستر و4 مختبرات و110 أستاذ و170 أطروحة ثم 960 منشور (كتب ومقالات)، لا تستقيم حالة مقارنتها بما هو قائم في فرنسا؛ إذ أن شُعَبَهَا ومختبراتها تُعَدُّ بالمئات وأساتذتها وأطروحاتها ومنشوراتها تُعَدُّ بالآلاف. ولتقريب المقصود بهذا الفرق، نشير إلى أن وضع السيكولوجيا بجامعة Toulouse Jean Jaurès لوحدها مثلا يتجاوز ما راكمته السيكولوجيا عندنا من إمكانيات مادية وبشرية وبحثية وإنتاجية لما يقارب 5 عقود من الزمن؛ إذ يصل عدد شُعَبها إلى 5 وتخصصاتها للماستر إلى 21 وأساتذتها إلى 136 ومختبراتها إلى 4 وأطروحاتها إلى الآلاف ومنشوراتها إلى عشرات الآلاف.

– الثاني مفاده أن الْبَوْنَ أكبر وأعمق على صعيد الممارسة، بحيث أن مهنة عالم النفس التي لا تزال غير محمية بقانون ينظمها عندنا خارج أسوار الجامعة، أصبحت منذ أواسط القرن الماضي مهنة منظمة بقوانين وجمعيات تدافع عنها في كثير من البلدان الغربية. وهي جمعيات يُعَدُّ منخرطوها على سبيل المثال بعشرات الآلاف في فرنسا وبمئات الآلاف في الولايات المتحدة الأمريكية. فالجمعية الأمريكية لعلم النفس (APA) مثلا، التي تأسست في يوليوز 1892 بجامعة بينسيلفاني Pennsylvanie يصل عدد أعضائها في 2019 إلى 120 ألف عضو، تشكّل في شخص رئيسها الطرف الذي تستشيره الجهات العليا في الدولة وعلى رأسها الرئيس الأمريكي، في القرارات الاستراتيجية المرتبطة بالأمن القومي الداخلي والخارجي. أما الخبرة والاستشارة للمساهمة في التخطيط لتنمية الإنسان الأمريكي، صحة وتعليما وعملا وتميزا وتتويجا وترفيها...فهي أولوية لا يمكن القفز عنها لأن السيكولوجيا هي أولا وأخيرا علم يجب

الافتقاد إلى التثمين المؤسساتي وكل ما يستلزمه ذلك من بنيات وتجهيزات وإمكانيات مادية وبشرية

سيادة الأنماط الثقافية والتمثلات الاجتماعية المقاومة لقيام المعرفة السيكولوجية المطابقة والمؤسسات المؤهلة لتوظيف خدماتها

الافتقار إلى القانون الذي ينظم ويحمي مهنة عالم النفس بالنسبة لعدد من الأخصائيين والممارسين في قطاعات الصحة والأمن والعدل وفي جمعيات مدنية ومؤسسات خاصة

أن علم النفس بالمغرب ورغم بعض مظاهر تطوره في ظل تشبعه بالمقاربة المعرفية، لا يزال يتخبط في مشاكل توطينه ومأسسته، تكوينا وبحثا وممارسة

توسيع قاعدة السيكولوجيا عندنا لتشمل كل الجامعات والكليات والمعاهد كشعبة قائمة الذات وليس كمسلك يفتقد إلى الشروط الهيكلية والتأطيرية والبحثية للتخصص الفعلي، أو كوحدات تكميلية ضمن برامج تخصصات أخرى

توظيفه لخدمة الإنسان.

إذن فأين نحن من كل ذلك؟ لذا قلت إن السيكولوجيا، وإن كانت في الطريق السليم إذا ما احتكمنا بوضعها إلى ما يوجد عليه الأمر في محيطنا العربي بالخصوص، فهي ليست على ما يرام مقارنة بما هو عليه الأمر في كثير من الدول الغربية....

خلاصة

تبعا لهذا التوصيف الذي حاولنا من خلاله تشريح وضعية علم النفس بالمغرب في ظل المقاربة المعرفية، نشير إلى أنه ورغم أهمية بعض محاولاتها وجدّية بعض مساهماتها الفردية، فهي لا تزال تتخبط في متاهات ودوائر لا متناهية من المشاكل والصعوبات الموزعة بين ضبابية الهوية ومحدودية الإنتاج وتواضع الاستثمار. إنها لا تزال تعاني من فجوة متعددة الصور والمظاهر بين الإنتاج والاستهلاك، بين الإبداع والمحاكاة، بين التنظير والتطبيق، بين التكوين والتشغيل، بين البحث والاستثمار، إلى الحد الذي يصعب معه القول بقرب انفجار ثورة سيكولوجية محلية، قوامها المقاربة المباشرة لظواهرنا النفسية التي غالبا ما يُنظر إليها "كتابووات" tabous محظورة والمساهمة الفعلية في المنظومة السيكولوجية العالمية.

على هذا الأساس نعتقد أن السبيل إلى تجاوز مثل هذه الوضعية غير الْمُطَمْئِنَةِ يكمن أساسا في العمل على إعادة صياغة هذه المنظومة السيكولوجية على أسس وقواعد جديدة يؤطرها من جهة منطق التشبع بخصوصيات الواقع المغربي بمشاكله وتحدياته المختلفة، ويوجهها من جهة أخرى منطق الانخراط في سيرورة السيكولوجيا المعاصرة ومظاهر ثورتها المعرفية المتجددة.

اعتبار السيكولوجيا مثلها مثل الطب، يجب أن تمارس أينما وجد الإنسان: في الأسر والمدارس والمستشفيات والمقاولات، في قطاعات العدل والأمن والشغل والرياضة

أن أفترض بأن السؤال الذي قد يطرحه كثير من قراء هذا المقال وبالخصوص المتخصصين، هو: هل السيكولوجيا في المغرب بخير أم لا؟

احتكمنا بوضعها إلى ما توجد عليه في العالم العربي. لكن بالنفي إذا ما توجهنا بالمقارنة إلى ما توجد عليه في كثير من الدول الغربية

أن مقارنة وضع السيكولوجيا عندنا بوضعها في بلد كفرنسا مثلا، تكشف بأن الفرق كبير وكبير جدا

أن الْبَوْنَ أكبر وأعمق على صعيد الممارسة، بحيث أن مهنة عالم النفس التي لا تزال غير محمية بقانون ينظمها عندنا خارج أسوار الجامعة، أصبحت منذ أواسط القرن

المراجع

الغالي، أحرشاو. (2019). مشاكل السيكولوجيا بالمغرب: مقومات، تحديات ورهانات، فاس: المجلة العربية لعلم النفس، المجلد 6، العدد 7، 9-18.

الغالي، أحرشاو. (2005). العلم والتربية والثقافة: رهانات استراتيجية للتنمية العربية. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.

الغالي، أحرشاو (2013). الثورة المعرفية ومستقبل السيكولوجيا بالمغرب، فاس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز: مطبعة أنفو برانت، سلسلة الدروس الافتتاحية، رقم 2.

الغالي، أحرشاو (1997). العلوم المعرفية وتكنولوجية المعرفة، مجلة معرفية، العدد: 1، 43-58.

Baars, B.J (1986). The cognitive revolution in psychology, New York: Guilford Press.

Bennani, J. (2005a). Histoire d'une transmission : La psychanalyse au maroc. Prologues. 33, 20-30.

Delacour, J.C (1997). Une introduction aux neurosciences cognitives. De Boeck Université.

Fodor, J (2002). The mind dosen't work that way: The Scope End limits of Computational Psychology. Cambridge, M.A, MIT Press.

Friman, P.C; Allen, K. D; Kerwin, M. E; Larzele, E. (1993). Changes in Modern Psychology. American

psychologist, Vol 48, n6, 658-664.
Gardner, H (1985). The mind's new science. A history of the cognitive Revolution. New York Basis Books.
Le ny, J.F; Richard, J.F (1986). Psychologie, intelligence artificielle et Automatique, Science cognitive. S.D Bonnet ; Hoe Tiberghien, Pierre Mardaga, Bruxelles.
Lieury, A ; Quaireau (2006). Infopsy-base
Kihlstrom, J.F(2004). Unity within psychology and unity between science and practice. Journal of clinical psychology, Vol.(60), N12, 1243-1247.
Kirouac, G. (2004). Cognition et émotion, Cimbra, Imprensa da Univesidada.
Miller, G. (2003). The cognitive revolution: A historical perspective. Trends in cognitive science, Vol. 7, N3, 141-146.
Reed, S.K. (1999). Cognition. Paris, Bruxelles. ITP De Boeck université.
Richard, J.F. (1999). De la psychologie expérimentale à la psychologie Cognitive, qu'est ce qui a changé : convergences et Divergences ? Psychologie française, N44-3, 197-204.
Robins, R.W ; Gosling, S.D; Craik, K.H. (2000). An empirical analysis of Trends in psychology. American Psychologist, 54, 117-128.
Tracy, J.C; Robins, R.W; Cosling, S.D. (2002). Tracking trends in Psychological Science, 18, 105-130.
Vicenta, M; Totosa, F; Samper, P; Nacher, M.J. (2002). Psychology's Evolution through its texts : Analysis of Hilgard's introductionTo psychology, Piscothema, 14, N4, 810-815.
Whissel, C; Abramson, C.I; Barber, K.R. (2013). The search for terminology. An analysis of comparative Psychology Journal Titles. Behavioral Science, 3, 133-142.

الماضي مهنة منظمة بقوانين وجمعيات تدافع عنها في كثير من البلدان الغربية

أين نحن من كل ذلك؟ لذا قلت إن السيكولوجيا، وإن كانت في الطريق السليم إذا ما احتكمنا بوضعها إلى ما يوجد عليه الأمر في محيطنا العربي بالخصوص، فهي ليست على ما يرام مقارنة بما هو عليه الأمر في كثير من الدول الغربية....

نعتقد أن السبيل إلى تجاوز مثل هذه الوضعية غير الْمُطَمْئِنَةِ يكمن أساسا في العمل على إعادة صياغة هذه المنظومة السيكولوجية على أسس وقواعد جديدة

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Documents/DocAharchaouZaherCognitivePsychology.pdf

*** *** ***

شبكة العلوم النفسية العربية
نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس
الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/
المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com
الكتاب السنوي 2020 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الثامن)
الشبكة تطفئ شمعتها التاسعة عشرة وتدخل عامها العشرون من التأسيس
20 عاما من الكدح... 18 عاما من الإنجازات "
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf